

هدية الكروان

عباس محمود العقاد



هدية الكروان

هدية الكروان

تأليف

عباس محمود العقاد



رقم إيداع ٢٠١٣/٢١٧١١

تدمك: ٣ ٥٥٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	مقدمة في اسم الديوان
١١	الكروانيات
٢٥	غزل ومناجاة
٦٣	صفات وتأملات
٧١	متفرقات
٧٥	هجاء
٧٧	رثاء
٨١	تذييل في اسم الديوان

مقدمة في اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف، وكانت ليليهما السواحر الحسان، وكان هتاف الكروان الذي لا ينقطع من الربيع إلى الخريف، ولا يزال يتردد حتى يُسكته الشتاء. وأكثر ما يسمعه السامع في حوافي مصر الجديدة حيث أُسْكُنُ وحيث يَكْتُرُ هذا الطائر الغريب؛ لأنه يألف أطراف الصحاري على مقربة من الزرع والماء، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التي كان يسكنها الزهَّاد بين الصحراء والنيل؛ فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب. ولي بالكروان ألفة من قديم الأيام، نظمت فيه القصيدة النونية التي أقول في مطلعها:

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني

وأودعتها الجزء الأول من الديوان.

ثم أعادني طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه، فاجتمعت عندي قصائد عدة في مناجاته. وكأنني كنت أعارضه وأساجله بكثير من القصائد الأخرى التي اشتملت عليها هذه المجموعة، فصحَّ على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله «هدية الكروان». ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام؛ فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا؛ لأننا نتكلم عمَّا فيه من شعر يوحي الشعر، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان.

تسمعه الفينة بعد الفينة في جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبهُ لك الزاهدَ المتهجِّدَ الذي يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترةً بعد فترة، ويشبهُ لك الحارسَ الساهرَ الذي يتعهدُّ الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء في مفاجأة منتظرة أو انتظارٍ مفاجئ، فلا تدري، أهي صيحة جذل أم هي صيحة روعة وإجفال؟ ولكنك

تشعر بالجدل والروعة والإجفال تتقارب، وتتمازج في نفسك حتى لا تتفرق، كأنك تُصغي إلى طفل يرتاع وهو جدلان، ويجدل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيهِ؛ لأن للخطر في حسّه طرفاً وحركةً، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فَيُخَيِّلُ إليك أنك تستمع إلى روح هائم لا يقيده المكان ولا يعرف المسافة، أطلقوه في الدنيا على حين غرة، فسحرتَه فتنة الدنيا وخبثته محاسن الليل، فهو لا يعرف القرار ولا يصبر في مطار. فأنت تتلقَى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالماً من معانٍ وأشجان يتجاوب فيه تقديس المصلي القانت، وحذب الحارس الأمين، وروح الطفولة، ومناجاة الخطر المقبول، وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال؛ عالم لا نظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لا تقرأ صدَى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون، على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلبل وأشباهاها على قلة ما تُسمع في هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء؛ لأنهم يلقبون المُغَنِّي بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون. وليس عن تعصب منّا للوطن نوثر الكروان على البلبل وما إليه؛ لأنّ التعصب الوطني على هذه الصورة حماقة لا معنى لها في الشعر والشعور، ولكننا نوثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق. أمّا الإعجاب بالطير الذي لا نسمعه، فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالي وتؤذي النفس كما يؤذيها كلُّ تصنع لا حقيقة فيه، وأخفُّ موقع له في نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية، كذلك الأصم الذي أراد أن يخفي صممه في مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولا سامعين! وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه، فبماذا عساه يشعر؟! إن الطير المغرد هو الشعر كله؛ لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية. فمن لم يأنس به لم يأنس بما في هذه الدنيا من طبيعة شاعرة، ولم يختلج له ضمير بما في الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعدُ هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو عند الشاعر وثيقة لا يُعرض عنها ولا يُفلتها من يديه، فإذا قال الجفاة الجامدون: إن الشعر لغوٌ في الحياة، قال الشاعر: إن التعبير الموسيقيّ عنصر من عناصر الطبيعة، وإنَّ الطير يغني ويهتف، وإنَّ الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن، كأنَّ الغناء والتعبير عن الشعور هما غاية الحياة القصوى، لا ينساها الحيُّ إلا لعائق يشغله ويغضُّ من حياته.

والجفاة الجامدون يقولون كثيرًا عن الشعر في الزمن الأخير، يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذي تفيض به الطبائع الحية، ولا سيما الأحياء المغرّدة الطائرة، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكلِّ أمةٍ ولكلِّ قبيلةٍ ولكلِّ لغةٍ، فلو كان شيئًا عارضًا في الحياة الإنسانية لما وُجد حيث توجد الحياة الإنسانية، ولو كانت الموسيقى نافلةً في الدنيا لما وُجدت في أمةٍ الطير، وإذا وُجدت في لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانيّ وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان؟

فبين الطائر المغرّد والشاعر الشادي محالفةٌ طبيعيةٌ لا تحنت فيها الطير، ولا تُقصر في إسداء حصتها الخالدة، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفي كلَّ دينه، ولن يستنفد كلَّ حصته، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التي يتّصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء.

عباس محمود العقاد

الكروانيات

هتفات الكِرْوَانِ^١ بالليل تترى
وجمال الحياة حبًّا وحسنًا
بِتُّ أصغي لها، وأقبس منها
ومعاني الربيع نورًا وعطرا
وشبابًا يفيض عطفًا وبشرا
ثم ترجمتها لمن شاء شعرا

الكروان المجدد

قبل عشرين سنةً نَظَمَ صاحب الديوان قصيدة «الكروان»، وفيها هذه الأبيات:

هل يسمعون سوى صدى الكروان
من كلِّ سارٍ في الظلام كأنه
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
ما ضرَّ مَنْ غنَّى بمثل غنائه
إنَّ المزايا في الحياة كثيرة
صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني؟
بعضُ الظلام، تُضلُّه العينانِ
موجُ الدياجر، دعوة الغرقانِ
أنْ ليس يبطش بِبطشة العقبانِ
الخوف فيها والسُّطا سيان

* * *

يا مُحييَ الليل البهيم تهجُّدًا
والطير آوية إلى الأوكان

^١ جمع كِرْوَان بفتح الكاف والراء.

هدية الكروان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً
قل يا شبيهة النابغين إذا دُعوا
كم صيحة لك في الظلام كأنها
هُنَّ اللغات ولا لغات سوى التي
إن لم تقيدها الحروف فإنها
أغنى الكلام عن المقاطع واللُغى
من نابغ في غمرة النسيان
والجهل يضرب حولهم بجران
دقات صدر للدُّجْنَة حان
رُفعت بهن عقيرة الوجدان
كالوحي ناطقةً بكلِّ لسان
بث الحزين وفرحة الجدلان

وفي هذا العام نَظَمَ صاحب الديوان القصيدة التالية؛ ليقول فيها: إنَّ ما سمعه من الكروان أولاً غير ما سمعه آخرًا، وإنَّ الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير. وهذه هي القصيدة:

زعموك غير مجدِّد الألمان
قد غيَّرتك، وما تُغيِّر شاعراً
أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي
ورويت لي بالأمس ما لم تروِه
ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني
عشرون عاماً في طراز بيان
بسماعه في غابر الألمان
من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، إنه
شكري إليك، وإن شكوتك، إنه
كنز يسان فهاتٍ من حباته
سُرُّ تصرُّ به على الكتمان
سُرُّ توخُّره لخير أوان
نخر القلوب وحلية الأذان

* * *

أنا لا أراك؟! وطالما طرقت النهى
أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى
أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى
أنا في ضميرك حيث باح فما أرى
أنا منك في القلب الصغير، مساجلُ
أنا منك في العين التي تهبُّ الكرى
وحيي، ولم تظفر به عينان
وإن استقر على الثرى جثماني
مرحاً، وإن غلب السرور لساني
سرّاً يغيبه ضمير زماني
خفق الربيع بذلك الخفقان
وتضنُّ بالصحوات والأشجان

طرُّ في الظلام بمهجة لو صافحتُ حجر الوهاد لهمَّ بالطيران
تغنيك عن ريش الجناح وعزمه فرحات منطلق الهوى نشوان
فرحات دنيا لا يُكدرُ صفوها بالمَينِ غيرُ سرائرِ الإنسان

* * *

علَّمتني بالأمس سرُّك كلَّه؛ سرُّ السعادة نفرة ومحبة
سرُّ الكون أنتم في صميم نظامه فكأنكم فيه الطريد الجاني
أنتم سواءً كالصديق وبينكم بعدُ كما يتباعد الخُصمان
لا يحمل الطيار وزر العاني حمل ابن آدم عثرة الإخوان
لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ كلا! ولا متقدِّمٌ أو وانِ
متشابهين على الحياة فكلكم ساري ظلامٍ، هاتف بأغانِ
متفرقين على المُقام ودأبكم عند الرحيل تجمع القطان
وكأنما نُسخت لكلِّ نسخةً من هذه الأجواء والأوطان
فهو الشريك على نصيب واحدٍ وهو الوحيد فما له من ثانِ
نخر الطبيعة منه تُعطونَ الحجي لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بني الطير المسبِّح في الدجى فيكم كهانة صالح الكهَّان
بعتم كرى الغافي وطيب رقاده وبه اشترىتم يقظة اليقظان
قل ما اشتهيت القول يا كرواني في لهو ثرثار وحلم رزان
سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً وأقول مثلك: كيف يزدوجان؟
وأظلُّ تزحم الحياة بمهجتي أبداً ويجتنب الزحام مكاني
في عزلة أنا والحبیب تؤمُّنا دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

بشراك طاب الأوان
تهفو لها الآذان
فكلُّنا سهران
فكلُّنا وسنان
له ولا أجفان
وفي الهوى كفران

الليلَ يا كروان
بشراك؟ بل أنت بشرى
سهران في الليل شاد
وإن تكن أنت حلمًا
وسنان لم يسهُ قلبُ
النوم في الصيف وزرَّ

* * *

ما أنت والنسيان
عنه، ولا كسلان
مذكّر اليقظان
وهل لروح مكان؟
كأنه الوجدان
كأنه كيان^٢
فأنت يا كروان
لحن ولا عيدان
فضائه حيران
يعيده الحسبان

الليلَ يا كروان
حاشاك ما أنت ساهٍ
الليل ذكري وأنت الـ
لكنما أنت روحٌ
بيننا يقال قريب
إذا به في صداه
إن كان في السمع طيف
صوت ولا جثمان
كأنه هاتف في
أو رجع صوت قديم

* * *

فأين منك البيان؟
وأنت فيه لسان
فاقرأه يا ترجمان
يَاة لو يُستبان

الليلَ يا كروان
ليل الطبيعة صمتٌ
وظلمة الليل سرٌّ
ما في الظلام ظلام الحـ

^٢ النجم عطار، وهو إله الغناء والفنون في عرف الأقدمين.

الكروانيات

إلا صياح اشتياق تروضه ألحان
نصف الحياة اضطراب ونصفها أوزان^٢

* * *

الليل والصيف والحب كلهن أوآن
وأنت منهن طرّاً على وعودِ تصان
خذ صمتهنّ وصفه شدواً له سريان
عُص في قرار الدياجي فللدجى شطآن
واستقبل النجم علواً إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوآن
في الأرض بيتك ثاو وفي السماء افتنان
وبين ذلك ملهى للحب، بل ميدان
واللهو في الحب، فاعلم كالحرب يا كروآن
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من سكر الغرام ضمان
الليل يا كروآن والعالم الغفلان
ونسمة الصيف تسري وفي يديك العنان
والصبح أول مرسى يرتاده الركبان
ألا تزاوراً عنه في الرحلة الربان؟!
وما ارتضاه ولكنّ ما الزمان زمان
فاملاً من الليل نفساً عزيمة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروآن! الصبح يا كروآن!

^٢ الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن، والشعور الفني هو الحياة الكاملة.

^٤ تزاور: انحراف وأعرض.

سؤال الكروان

هتافك في الدجى يا ابن الليالي؟
تعااف النوم أم من سوء حال؟
أَوِ اِنَّكَ كارهٌ للصبح قال؟
فما لك في النعيم بلا مثال؟
أَوِ اِنَّكَ اَنْتَ وحدَكَ في ضلال؟!
تنزّه عن نشوز وابتذال؟

* * *

وقالوا: ما شدا الكروان إلا
وقالوا: تسرق الأعشاش عمدًا
وإنك بالتراب شبيهه حال
سألت، وما أرى لك من جواب
سأسمع منك أنغام الليالي
ولا آلوك إصغاءً ووصفًا
أبا الكروان - يا مظلوم - تدعى
بحسبك أنهم كذبوا جهراً
وأنت مفردٌ في الطير لحنًا
إذا شابهتها في النقص حينًا

ليسأل عرسه قوت العيال
على كسلٍ وضعف في الخصال
وبالديدان منهومٌ مغالٍ
سوى اللحن الشجبي على سؤالي
وأسمع عنك أشتات المقال
كلا الأمرين من همّي وبالي
وأنت عن الكرى المحبوب سال؟!
وأنت صادق الهتفات عالٍ
وما استفردت في تلك الخلال
فأين المشبهاتك في الكمال؟

غنّ يا كروان

قم غنّ يا كروان غنّ
وأمن دجاك وإن عرف
فيم المخافة يا سمي
لا أنت جزل في الصحا
كلا ولا في خافقي
وتمنّ في الدنيا ومني
تُك في الحياة قليل أمن
ر الليل أو فيم التجني؟
ف ولست في قفص تغني
ك الحائلين بريق حسن

الكروانيات

والصقر نام وأنت وحدك تمدح الدنيا وتثني
لك كل ما دون الكواكب من سماك الليل مبني
فَأَمَّنْ زمانك أو فخف فالتبع دون الرأي يغني
إنني إخالك لو أمنت لما هتفت لنا بلحن

ما أحبُّ الكروان!

ما أحبُّ الكروان!
هل سمعت الكروان؟

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا
حيث كانت جيرة أو حيث كنا
هاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا^٥
هو ذاك الكروان، هو هذا الكروان!

الكراوين كثيرٌ أو قليلٌ
عندنا أو عندكم بين النخيل
نَمَّ صوتٌ عابِرٌ كلَّ سبيلٍ
هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

لي صدى منه فلا تنسَ صداع
هو شاديك بلا ريبٍ هناك
فإذا ما عسعس الليل دعاك

^٥ الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

هدية الكروان

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

مفردٌ لكنه يؤنسنا
ساهرٌ لكنه ينوعسنا
صدحت في نفسه أنفسنا
فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

واحدٌ أو مائة ترجعه
عندنا أو عندكم مطلعته
ذاك شيءٌ واحد نسمعه
في أوان وبيان، هو صوت الكروان

واحدٌ بين عصور وعصور
نحن نستحيي به تلك الدهور
لم يفتنا غابر الدنيا الغرور
في أوان الكروان، ما أحبَّ الكروان!

على الجناح الصاعد

يا أرضُ أصغي، يا كواكبُ شاهدي!
نُصُّوا المسامع للأنيس الواجد
ردوا التحية للفريد الساهد
منها نجِّي مغاور وفراقد
بالليل حنجرة المغني الخالد
أبدًا، وما هو آمن لمساعد
لك أنت يا كروان، فأمنُ صائدي

حادي الظلام على جناح صاعدٍ
يا أنسين بصحبة من وجدهم
يا ساهدين على انفراد في الدجي
المستعزُّ بعمرسه وكأنه
لهجت طيورٌ بالضحي وتكفلت
يحدو ويشدو لا مساعد حوله
أنا صائدٌ لصدك، لستُ بصائد

بيننا أقول: هنا، إذا بك من هنا
 وددت يا كروان لو أَلقيتَ لي
 إن كنت تشفق أن أراك فلا تَزَلْ
 عاهدت هذا الصيف لستُ بواهبٍ
 من كان قد أغنى الطبيعة كلها
 في جنح هذا الليل أبعد باعد
 صوتين منك على مكان واحد
 في مسمعي وخواطري وقصائدي
 سمعي سواك، فهل تراك معاهدي؟!
 مُغْنِيَّ عن شادٍ سواه وشائد

ألف صدى

ألف صدى لهاتف
 أم ألف شادٍ رددت
 أم ذاك روح أطلقوا
 فرادها مستغرباً
 فلا يقال مقبلٌ
 هنَّ كراوين الليا
 لا نقص إن قلت ولا
 باركها من بارك الخلـ
 منفرد على الذرى؟
 هتافها مكرراً؟
 ه في الدنى محيراً
 وطافها مستبشراً
 حتى يقال أدبراً؟
 لي أو فقل هو الكرا^٦
 مزيد في أن تكثراً
 د وما قد أثمر

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سفرا
 ما أنت بالليل مفتوناً، ولا كلفاً
 وإنما أنت مفتون بعزلته
 وبالحبيب الذي يدعوك مرتفعاً
 إذا شدوت فما أدري، أذو كلفٍ
 ولفٌ ظلماءه أو أطلع القمر
 بالنجم، أو بظلام الليل حين سرى
 وبالأمان الذي تلقاه مستترا
 في ساحة الليل، أو يدعوك منحدر
 ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا؟

^٦ الكرا: ذكر الكروان.

سيان يا كرواني القلبُ مستعراً
إن كان شدوك أماً فاشدُ في دعةٍ
بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا
أو لا، فلا زلتَ مذعور السرى حذرا!

لمن الفضل؟

كروان الليل رتّل للهوى
هو أغراك بشدوٍ وثنى
لك إلفٌ من تستوحي، ولي
أنتَ لولا نفحةٌ من حبه
صامت الفن، أذا الفن، وإن
غار جبّي منك فاسمع إنني
وله الفضل ومنه الوحي لا
آية الحمد ... وحمد الفطن
لك سمع العاشق المفتتن
أنا إلفٌ وحيهٌ ينطقني
ساكنٌ عندي، وإن لم تسكن
صدحت ألحانه في أذني
عنه أروي كل شيء حسن
منك في كل مقال بيّن

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب؛ لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته:

القَمَارِيُّ العارفة

ملأتُ داري القَمَارِيُّ غناء
عرفت عندي ربيعاً بعد ما
عرفتني العام، أم كانت هنا
لم أكن أحفلها حتى إذا
ويحها! هل يكشف الطير الغطاء؟
رَهَبْتُ من ظلمة الدار الشتاء
كلّ عام تمنح الدار الولاء؟
صدح الحب تسمعتُ الغناء!

ببغاء^٧

ببغاءً ترنمتُ بمديح البلابل

^٧ ببغاء تحكي ما تسمع دون أن تعقل، وكذلك يكون الشاعر الذي يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه، فهو في مصر نادر لا يزورها إلا في رحلة عاجلة.

مسرعات المراحل	أين منا بلابلٌ
ليس منها بأهل	في سماوات موطن
والقماريِّ حافل	بالكراوين عامر
يا أسير الأوائل	ناج ما أنت سامع
صحبة غير عاجل	اسلُ عن عاجل بذِي
لست منه بناهل	ما اشتغالٌ بمورد
أنت منه بساحل	وانصراف عن الذي
جاهلٌ أيُّ جاهل	أنت عندي بذا وذا
أو شبيهه بناقل	ناقلٌ لهفة الصدى ^٨
عن نشيد البلابل	في الكراوين غنية
أصغِ واسمع، وسائل	والقماريُّ ما لها؟
فالتمس وصف قائل	إن تعداك قولها

شدو لا نوح

هل يعبر الحزن بالشادي الصباحي؟	شدو القماريِّ لا نوح القماريِّ
وفي غرام على الإلفين مطوي؟	أو الربيعي في أنس وفي أمل
كأنها أمنت فوت الأمانِي	يا حسنها من بشيرات على دعة
وتعتلي من ذراه كل علوي	محبّبات إلى الإنسان تألفه
ما بالها؟ هل سبها حسن إنسي؟	تهوى الديار، وفي الأفاق مطلعها
هل تعرف الطير ما حسن الأناسي؟	وللأناسي حسنٌ لا أبوح به!
زهر المباسم جُنَّت بالأغانِي	غنَّت لزهر وسلسال ولو رشفت
يأس الهوى بين إنسي و«طيري»	أولى لقمرينا ألا يحوم على
واسلم هنالك من باكٍ ومبكي	غرّد على الدور يا قمرِي في دعة

^٨ الظمأ.

واتلُ الرجاء على هذا وذاك، ولا
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها
تسألهما عن جوى في القلب مخفي
من سلوة، أن فيها شدو قمري

شفاعة للغراب

حيّ الغرابُ الفجر بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترّ نور الفجر كالمجيب في غير ما لوم ولا تثريب
لهاتف ناداه من قريب

* * *

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيي النور باليقين؟
تحية العصفور والشاهين ألا تدين كلها بدين؟
فما له يُعذل كالرقيب؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصييح الهاتف بالعجاب أصدق حباً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعهُ والطير في أوان وقبله الصبح، وقد ناجاني
صوت حبيبي بادّي الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وما له في الحسن من نصيب!

* * *

أمنتُ منه لوعة الفراق وكلّ غاقٍ عنده وقاق
فلا يزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفيح والآفاق
ومنك يا فجر، ومن حبيبي

عادات الغراب

بئس الغراب وإن ذكرتُ بصوته
أبداً يقاطع كلَّ شأٍ حوله
فإذا شدا الكروان أتبع شدوه
وإذا ترنمت القماري أنبرى
حسداً ولؤماً، أو غروراً لم يزل
لا عاد فرع كان ينبع فوقه
عطف الحبيب عليه كلَّ صباح
كمعطلّي الإنشاد في الأفراح
بصياح شؤم منه أو بنواح
ما بين تنعابٍ وخفق جناح
دأب الحسود وديدن الملحاح
فرمته فأس الحاطب المجتاح

نعب على عشه

هدموا دارَ الغرابِ
قطّعوا الدوحة قطعاً
ليت شعري من هنا النا
لست بالمأمون فاذهب
أنت أذنت بخوفٍ
لم تصن عهداً لمن حا
لحبيبٍ بات يرثى
فامض في غير وداع
وخذ الغربان طراً
من زوات العش في النف
رُبَّ شكٍ هو في الأنف
وابتَلوه بالخرابِ
ورمّوها في التراب
عب يا رب النُّعاب
غير مبكيّ الذهاب
في هوانا وارتياب
طك بالعطف العجاب
لك من سخر الصحاب
وانأ في غير اقتراب
مؤنسات في الركاب
س وفي هذي الرحاب
س شرٌّ من غراب!

سحر الطير

كل إلفٍ له من الطير إلفُ
أملٌ يرتقى، وحبٌّ يُناجى
هكذا تجمل الحياة وتصفو
ولسان يشدو، وقلب يرفُّ

هدية الكروان

بك خفَّ الجناحُ يا أيها الطـ
لطف روح أعار جنبيك ريشاً
ليس ينميك للسماء جناح
إن مضى الناس يعجبون قديماً
ثقلته في الحياة لم ينجُ طبع
سير، وما كنت بالجناح تخفُّ
فمن الروح لا من الريش لطفُ
بل غناء عن الضياء يشفُّ
كيف تعلو؟ عجبتُ كيف تُسفُّ؟!
من عراقِها ولم يخلُ عرف

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

مَنِّي أَطيبُ المنى يا حبيبي فالمنى وحدهنَّ منك نصيبي
إن يَفْتِنَا منالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب

* * *

مَنِّي، بل دع المنى يا حبيبي فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تعدنا وافتقاد الموعد جدُّ صعب

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي غير ما ناكثٍ ولا مستجيب
أعطني صفوك ارتجالاً ودعنا من مطالٍ بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحبُّ لنفس شبعت من روية التجريب

متى!

متى يا عيون يعود الضياء؟ متى يا رياض يعود الربيع؟

١ إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه: متى يعود إليه؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التي تتردد في هذه القصيدة.

هدية الكروان

متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ متى تقبلين دعاء الشفيح؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى إلى صدر أمِّ براهما السقام؟
متى يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟ وقد غرقوا في ليالي الخطوب
متى يجمع الشط تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخِصْمُ الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء في الماء يطفئ حر الصدى؟
وفي الزاد يبقى زماء الحيا ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا؟

* * *

متى؟ إي وربك قل لي: متى؟! وسلهم عن اليوم والموعد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مثال تجود
عشيةً تبسم عند الودا ع وتسال: في أي يوم أعود!

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي: الربيع جميل قلت: حقاً. وزاد عندي جمالا
عجباً لي، بل العجيبة عندي صور الكون كم يسعُن كمالا
خلتني قد وعيتهن عياناً وتتبع من وَعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كُتب قرأ الكتب دارساً، فأطالا
فإذا نظرةً بلحظك تبدي صوراً ما طرقت عنديّ بالا

بعداد الأتوار في أعين الحبِّ سبِّ نعدُّ الأكوان والأجيالا

النبض

رأوا فما عرفوا، كلا ولا عجبوا
 كأنما أنا من أمسي ومن غده
 في مهجتي أمل فاضت بشائره
 فلو تشيم ضياء القلب أعينهم
 كالفجر تسري على مهل طلائعه
 الحمد لله! لا شاموا ولا نظروا
 لو أبصروا الموعد الموموق مقترباً
 وهبَّ للشمر منهم عسكر لجب
 يا أيها الناس قرُّوا في مضاجعكم
 أسوان مكتئب لا الحسن يفرحني
 وهاكم النبض جسوه، أعندكم
 كلا وحقكم! لا كان حقكم
 ولا دروا بالذي أرجو وأرتقب
 لم يختلف قط لي شجو ولا طرب
 فما لهم حُجبوا عنه، وما حُجبوا!
 لأبصروا فيه عين الشمس تقترب
 أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب
 ولا درى جاهل منهم ولا أرب
 لجفَلته إذن من لؤمهم ريب
 إن يطلبوه لخير عزَّهم طلب
 إنني وحقكم أسوان مكتئب!
 ولا الحبيب له في فرحتي أرب
 تحت الأضالع قلب خافق يثب
 إلا اليمين التي يحلو بها الكذب!

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى
 شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً
 أسرع بأجنحة السماء جميعها
 ودع الشمسوس تسير في داراتها
 ما ضر دهرك إن تقدم واحد
 شوقي إليك، وما أشاق لمغنم؟
 من وكره، ويكاد يَطْفِر من دمي
 إن لم يطعك جناح هذي الأنجم
 وتخطَّها قبل الأوان المبرم
 يا يوم من جيش لديه عرمرم

لي جنة يا يوم أجمع في يدي ما شئتُ من زهر بها متبسم

وأذوق من ثمراتها ما أشتهي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها
وتلذ لي منها الوهاد لذائتي
لم آس بين كرومها وظلالها
فكأنما هي جنة في طيها
أبدأ يذكرني النعيم بقربها
وأبيت في الفردوس أنعم بالمنى
ولا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
ليست بمحجة ولستُ بمحجم
بتصعد في نجدها وتسنم
إلا على ثمر هناك محرم
ركن تسلل من صميم جهنم
حرمان مزءود^٢ وعسرة معدم
وكأنني من حسرة لم أنعم

* * *

يا يوم موعدها ستبلغني المنى
لا غصن رابية تقصر راحتي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي
فأبيت ثم إذا احتواني أبقها
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه
وتتم لي الفردوس خير مُتمم
عنه، ولا ثمر يعز على فمي
حتى أثوب على قدومك، فأقدم!
لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرح الضياء سرى لطرف مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً
رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه
صونيه عن ولهِ صيانةً مكرم
إن لم تري رفقا بمهجة مغرم

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمر
جمعتهما أنا في لثمة
فما زال يلحظه جهرةً
ويزعمها قبله من أخٍ
نظيران يستبقان النظر
أو البدر قبّله فابتدر؟
ويغمزه من وراء الشجر
ففيم إذن قطفها في حذر؟!

^٢ المزءود: المفزع المدفوع.

غزل ومناجاة

ولو شئتُ ظللت وجه الحبيب ب ولو شئتُ كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فخذُ يا قمر من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال، وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسر:
على مثل هذا تطيب الحيا ة، وفي مثل هذا يروق السمر
فقلت: أجل ما أحبَّ الحيا ة، وأنت شفيع لها مُدخِر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

شعر وشعر

أمنُ شعري؟ نعم! شعراً وشعراً وخفقُ في الجوانح لا يقرُّ
فمني الوزنُ في خفقات قلبي ومنك الوحيُّ والحسن الأغرُّ
وتسألني، كأنك لستَ تدري! وما لي غير ما أوحيتَ سرُّ
وأحرى بي سؤالك عن قصيدي فما لي فيه — بل لك أنت — أمر:
أنظم في غدٍ أم لاتَ نظم على ما ترتضيه ولاتَ نثر؟
وعن شفتيك لا شفتيَّ أروي عشيةً يلتقي ثغرٌ وثغرٌ
فلقني أجبك ولا تسلني سؤال الشمس: هل سيلوحُ فجر؟^٣

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةً في البحر والسماء

^٣ ليس للشمس أن تسألنا: هل يلوح الفجر؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هي، وكذلك الحبيب، لا ينبغي أن يسأل الشاعر: هل ينظم شعراً؛ لأنه ينظمه بوحيه.

هدية الكروان

جربها «مفصّل» الأشياء
لِتَلْبَسِيهِ بَعْدُ فِي الْأَزْيَاءِ
مُجَوِّدَ الْإِتْقَانِ وَالرَّوَاءِ
مَا أزدَانِ بِالْأَنْجَمِ وَالضِّيَاءِ
وَلَا بِمَحْضِ الرَّبْدِ الْوَضَاءِ
زَيْنَتِهِ بِالطَّلْعَةِ الْغُرَاءِ
وَنَضْرَةِ الْخَدِينِ وَالسِّيَمَاءِ
وَلَمْعَةِ الْعَيْنِينَ فِي اسْتِحْيَاءِ
إِنْ فَاتَنِي تَقْبِيلُهُ فِي الْمَاءِ
وَفِي جَمَالِ الْقَبَةِ الزَّرْقَاءِ
فَلِي مِنَ الْأَزْرَقِ ذِي الْبِهَاءِ
يَخْطُرُ فِيهِ زِينَةُ الْأَحْيَاءِ
مُقْبَلٌ مَبْتَسِمُ الْأَضْوَاءِ
مَرْدِدُ الْأَنْغَامِ وَالْأَصْدَاءِ
وَقَبْلَةٌ مِنْهُ عَلَى رِضَاءِ
غَنَى عَنْ الْأَجْوَاءِ وَالْأَرْجَاءِ
وَعَنْ شَابِيبٍ مِنَ الدَّامَاءِ^٤
وَعَنْكَ يَا دُنْيَا بَلَا اسْتِثْنَاءِ

يوم

ذهب الليل ودار المَلَوَانُ^٥ وشدا قبل الصباح الكروان
وتحدّاه الغُدافيُّ^٦ الذي تبسط الرفق عليه والحنان

^٤ الشّابّيب: أول ما يظهر من الحسن، وشدة اندفاع كل شيء. والدّاماء: البحر.

^٥ الليل والنهار.

^٦ الغراب. راجع ما تقدم.



ومشى الصبح على مهلٍ كمن
وتلمستُ هنا تغريدةً
قُبلة منك هي الفجر، وفي
عن شمالي كلُّما ولَّى دُجى
وترأت نظرة ناعسة
يطرق الدار على غير أمان
في فمي تصدح في هذا الأوان
طيها تبدو ثناياه الحسان
وسرى فجر، وحننت شفقتان
عند أخرى، فتلاقت نظرتان

* * *

بان ليلي! لا تسلني: كيف بان؟
كلُّما يممّت دارى قلت لي:
فأتيت الدار لا أحسبها
لم أكن أطلبها، ويحي! ولا
أين أمضي؟ أين تحدوني الخطأ؟
راعني نقص بعيني ويدي
خلتني بدلت منها غيرها
أنت تدري، فاغتر عيَّ البيان
أجناحان لنا أم قدمان؟!
قربت قط، ودوني خطوتان
أطلب المهرب منها حيث كان
ضاق الدار، وضاق المشرقان
وفمي الصادي، وقلبي، واللسان
ولو استبدلها الخطب لها

أهزيع منك يا ليل مضي؟ أمضى نصف؟ أما ينشطران؟
بان ليلي! لا تسلني: كيف بان؟
إي وربّي بان لكن بعدما
لا زمانٌ حيثما لاقيتني
حاطك الله من الليل وصان
نفدت ساعات عمري في ثمان
فإذا فارقتنني كان الزمان

* * *

طلع الصبح حزينًا عاطلاً
وسرتُ أنفاسه يا حسرتا!
نسمات الصبح أورت^٧ كبدي
وتمشّيت إلى كتبي على
يا أبا الطيب لا تهرف! ويا
شعراء الشرق والغرب أما
أو فهاتوا الشعر لي صرفًا بلا
أفرغوه جملةً في خاطري
ربّ شعيرٍ شاقني لمّا تكذّ
أتراه كان بالقرب يُزان؟
أين أنفاسك يا زين الحسان؟
فحجبت الأنف عنها والعيان
مضض منّي، وللكتب أوان
صاحبي الروميّ ما هذا الرطان؟!
تملكون الصمت يومًا في عنان؟!
أحرفٍ في الطّرس منه أو معان
ليس لي بالطّرس والدرس يدان
شفتنا قائله تنفرجان

* * *

وتجلّى الباب لي عن زائر
فتعلّمت ولبي شارد
قال لي: «الأفق جميل» قلت: لا
قال: زيد. قلت: حاشا. فانتني
فمضى يعجب مني سائلًا:
من أودائي كأننا أخوان
كيف يُكسى الود ثوب الشنآن^٨
بل دميم. قال: زاه. قلت: قان!
نحو عمرو. قلت: كلا، بل فلان!
أسلامٌ؟ قلت: بل حرب عوان

* * *

ذهب اليوم وما أحلكه
كان من يومٍ نماه النيران

^٧ أوري الزند: أخرج ناره.

^٨ البغض.

لم يكن في صبحه أو ليله حظ عين، أو لسان، أو جنان
ذاك يومٌ يا حبيبي واحد وغدٌ منه غنيٌّ عن بيان

الحب المثل

كأنِّي مثَّالٌ وحسنك تمثالي عجائبُ حبٍّ ما خطرنا على بالٍ
فما أتمنَّى فيك معنَى أريده من الحسنِ إلَّا وافق الحسنِ آمالي
وأحلام قلبٍ فيك تسري كأنَّها خوالقُ أيدي الفنِّ في الذهبِ الغالي
تجول بأشكال الخيال وتثنني وقد أسعدت منك العيانُ بأشكال
إذا ما تمشَّت فيك معنَى لمستها محاسنَ أعطافٍ ورقَّة أوصال
إذا اقترحتْ عيني فأنت مجيبها فهل منك أو مني صباغة تمثالي؟
وما اقترحتْ إلَّا كما اقترح المنى غنيٌّ على وفر من الوقت والمال^٩
فما فيك من نقصٍ ولكنما الهوى نوازع شتى لا تقرُّ على حال
فيا قدرة الحبِّ المبارك أبدعي لكلِّ حبيبٍ في الصبا ألف سربال
وأجمل من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ لها زينتها من حياة وإقبال

ساعي البريد

هل تَمَّ من جديد يا ساعي البريد؟

* * *

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطو كلَّ باب يا ساعي البريد

^٩ إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التي لا حاجة به إليها، إنَّما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان.

هدية الكروان

* * *

ما ذلك التنسيقُ والجمع والتفريقُ
والقفز والتعويقُ يا ساعي البريد؟!

* * *

كسوتك الصفراءُ والخطوة العرجاء
يمشي بها الرجاء يا محنة الجليد!

* * *

لو لم تكن جمالا في مشية العجالي
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات في حاضر وآت
إلا على الميقات ميقاتك الوئيد

* * *

في شرفتي أبتكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتني مميتها
لقيتها! لقيتها يا ساعي البريد

* * *

جددت لي انتظاري وقلّة اصطباري
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

غزل ومناجاة

أكرم به من ثمر منتظر مدّخر
في كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفاً بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور في ساعة البريد

* * *

في لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماضٍ تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبداً مريدي بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعي البريد

عجب الساعي

عجب «الساعي» الذي كنتُ له
إنَّ من تُحضر لي أخباره
ألقى إن شئت وطاباً حافلاً
الطريق الآن لا أرقبه
ولك الشكر، ولي العذر، فلا
لا تدكّرني نواه بعدما
أبدًا في شرفتي منتظرا
أيها الساعي، بخير حضرا
لا أبالي لحظة إن صفرا
لأرى وجهك، لكن لأرى ...
تظهر الآن، فما قد ظهرا
كنت تروي عنه ذكراً عطرا

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شجاها
الثدي الحسن تبغي رضاها
ما بكاءً الفطيم بين الثدي
ما لثغر الفطيم غير رضي؟

لو أرادت لكان عند مناهها كلُّ صدرٍ، وكلُّ نهدٍ شهبيّ
أمها! أمها! وليس سواها ذات صدر على الشفاه نديّ

* * *

ليلتي، ليلتي الحزينة صبرًا ليس هذا الفطام بالأبدئيّ
سوف تُروين من أميمك ثغراً فارضعي الآن من دموع الشجيّ
وانرفي هذه المدامع غزراً ... هل يضير البكاء عينَ الصبيّ؟
من أذاب الشقاء عينيه شهراً في ارتقاب النعيم غير شقيّ

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر، أنلتقي بعد شهر،
لم يحولوا — وحقهم — بين روحي
تمّت القبلة التي نشتهيها
تمّ منها شوقٌ، ورفُّ شفاه
بين جيشٍ من النواظر مَجْرٍ؟
ننا، وإن ألزموهما طول صبر
كلُّها، غير ضم ثغر لثغر
وهوى نيةٍ، وخفقة صدر

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
حلم على اليقظات جازَ فليته
لم يظلم اليقظاتِ فهَيَ إذا وقت
ما وعده إلاَّ سعادة حالم
في غفوةٍ تُغفي العيون لكي ترى
في جوره أبداً يعود مكررا
بلقائه، سلبته من حلم الكرى
فالنوم كان به أحق وأجدرا

^{١٠} الجيش المجر: العظيم.

والحلم المنتقم

لَمَّا تَمَلَّيْتُ فِي الرَّوِّيا مَحاسِنه
هتفت لليل والظلماء والحلم
هذا انتقام الكرى من بطء موعده
وللكرى ربَّةً مشكورة النِّقم
يغار من طيفه الساري فيمطلني
كأنما قال لي بالمطل: لا تنم!

في البعد والقرب

لن يطيب البعدُ يوماً لن يطيبا
هَنْ عَلَيَّ اليوم إن كنت حبيبا
لا تكن ناراً من الشوق ولا
دمعةً حرَّى، ولا قلباً كئيبا
لا تكن صحراء في البعد وقد
كنت لي في القرب بستاناً رطيبا
إن تُغِبْ شمساً فأوِصِ النوم بي
قبل أن تُعرض عني أو تغيبا

* * *

يا حبيبي، بل فكن ما كنت لي
صانك الله بعيداً وقريبا
واجعل الأتس نصيبي فإذا
غبت عني فاجعل السهد نصيبا
كن نعيمًا وعذابًا، ومُنَى
تملاً النفس، وحرماناً مذيبا
هكذا الحب دَوَالِيكَ فمن
لم يكنه، لم يكن قطُّ حبيبا

قراءة

على كتفي تمشي بعينيك في الطرس
عجولاً إلى شعري حريصاً على لمسي
كأنك لم تحمد مدى الصوت وحده
فسابقته بالعين حيناً وبالחס
وعانقتني تستوعب الشعر حيثما
سرى في ثنِيَّات الجوانح والنفس
هنالك أدري أن للشعر مجلساً
إلى جانب العرش السماويِّ والكرسي

تسَلَّم هذه الدنيا كما خَلَّفْتها عندي
وحاسبها على قرب بما تجني على البعد

* * *

تسَلَّم هذه الشمـ س التي تَوَسُّس أو تَهدي
لقد كانت هداها الله مِكْسَالاً من المهد
تجوب الأفق في جهد وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنوا ر أو تبدي فلا تجدي
وكانت شعلة حرَّى من اللوعة والوجد

* * *

تسَلَّم هذه الأطيا ر واسألها عن العهد
تُغْنِي الآن فاسألها أَعْنَتْ قَطُّ لي وحدي؟
وإن غنَّت فهل كا ن سوى نوح لها مُعَد؟
وإن أَعَدَّت فهل تُعدي بغير الشجو والسهد؟
نعم سلها جزاها الله: أين تحيةُ الورد؟
وأين تحية الإلف؟ وأين تحية الفرد؟
لقد كانت لحاها الله تطويها على عمد
فسلها: فيم تطويها وفيم تضنُّ أو تُسدي؟

* * *

تسَلَّم أنجم الليل بلا عدِّ ولا حدِّ
تسَلَّمها وكاشفها بما تُخفي وما تُبدي
وسلها: كيف ضلَّتني وما ضلت عن القصد؟
وفيم تغامرُ منها إذا حَيَّرني قيدي؟
نعم قيدي الذي في النفـ س لا في صفحة الجلد
أهنزلاً تهمس الأنجـ م أم تهمس عن جدِّ؟!

* * *

تسلّم زهرک المحبو ب في السهل وفي النجد
تراه ضاحک العين تراه ناضر الخد
فسله: ما عراه أم س حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصي بغير الهمّ والزهد
فما عن لومه في ذا ک يا مولاه من بُد!

* * *

تسلّم هذه الدنيا كما خلّفتها عندي
بحمد الله تلقاها كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيًا عنها وعني وعن الودّ
وعلمّها إذا ما عدت لا عدت إلى البعد
أمانًا في مغيب مند ك أو في محضر رعد
فما تسمع لي قولًا إذا ناجيتها وحدي!

الفنجان

أتؤمن بالفنجان! لا يا صديقتي
إذا هو أعطاني السعادة فلتكن
وإن يكن المغزى هناك خرافة
في كوثرِيّ من رضاب معطر
بثغرك لا الفنجان أصدق إيماني
نبوءتها في الكأس أو سور^{١١} فنجان
فثغرك صدق في ابتسام وتبيان
وفي جوهرِيّ من ثنياه فتان

^{١١} السور: ما يبقى في الإناء.

قُرْبِي

تقربني لله بالدعاء
ليس مكانٌ في السماء كلِّها
ربِّ صلاةٍ علَّمت مصلياً
ورفعت من طينة الأرض إلى

وأنت قُرْبِي الأرض للسماء
عن شاعرٍ أو عاشقٍ بِنَاءٍ
إجابة الصلاة والرجاء
عرش الضياء سلَّم ارتقاء

كأسٌ وُضوءٌ

هنا — ويا حسن ما ضمَّت هنا — قدحٌ
في كلِّ قطرة ماءٍ ههنا أثر
مرَّت بقدك تحكيه، وربِّما
فلو تعود كما لامستها رسمت
تطهَّرت بك لَمَّا أن طهَّرت بها
وصافحت منك تقوى الروح في جسد
هذي خلاصة إنسان مقدسةً
أخطئُ أنا إن أحسستُ في كبدي
فكم أغالب من إغراء سكرتها
تنازع الدينُ والغَيُّ الهَيَامَ بها
فليت شاربها يدري أحصته
خوفي — ويا طول خوفي — أن تمزقني

تُغوي قلوب العطاشى أيَّ إغواء
من قالب الحسن في روح وأعضاء
حكى الوضوءُ جمالَ الروح في الماء
مثالك المفتدى في مهجة الرائي
عند المُصلِّي، وزادت حسن إيماء
يغزو التفاة بأشواق وأهواء
ليست خلاصة أعنانٍ وصهباء
شوقين من نشوةٍ فيها وإرواء؟
ما لا يغالبه ظمآنُ صحراءٍ
وقربت بين إسعاد وإشقاء
عند الخضيراء أم عند الحميراء؟^{١٢}
كلتاها يوم إحيائي وإحصائي!

^{١٢} الخضيراء: كناية عن الجنة الخضراء، والحميراء: كناية عن جهنم الحمراء.

رقية السهر

تجلَّت آية الكرسيِّ سي، ما أعلاه كرسيًّا!
أظَلَّ سباتها عينيَّ سيّ حين لمست عينيًا
أترقين من السهد وما أبغي له رقيًا؟
سرورًا بك هجراني الـ كرى المحبوب والرؤيا
دعي الرقية للسهد الـ لذي يدعونه نأيا
وللنوم الذي ألقا ك فيه حين لا لقيًا

المنديل

تعاشق لُحْمَةً^{١٣} وَسَدَى ورفرف خافقًا غردا
وَأَخْتٌ طُرَّتَاهُ^{١٤} يَدًا على عهد الهوى ويدا
وقبل النسج كم ساغ الصُّ صَفَاء سحابة وندى
وئاغى الطيرُ صاحبه على شجراته، وشدا
وعاشت في الرضى شجرا ته مخضرةً أبدا
فيا منديل لا تبرح بعهد الحب منعقدا
عريقٌ أنت يا منديـ ل روحًا فيه أو جسدا
إذا صنت الوديعة لي فلا بدعًا ولا فندا
وإن تحفظ أمانتها حفظتُك أنت مجتهدا
سنسأل عن شذاك غدًا وبعد غدٍ، وإن بعدا
فصنُّ سرِّ السؤال لنا ولا تخبر به أحدا

* * *

^{١٣} لُحْمَةُ الثوب: ما نسج عرضًا، وسداه: ما امتد من خيوطه.

^{١٤} الطَّرَّة: طرف كل شيء وحرفه.

هدية الكروان

من الكتان يا نسًا ج، فانسج كل ما خلدا
وعى خُلْدَ الفراعين وزان عروشهم أمدًا
ومن يرضَ الحريرَ به بديلًا ساء ما اعتقدا
فماذا تَنسج الديدا ن من ذكرى لمن سعدا؟
وما الديدان والذكرى؟ ومن نكر اسمها جمدا!^{١٥}
هو الكتان يا نسًا ج، فانسج منه منفردا

* * *

بيوم كان للمندي ل قدس لُحْمَةً وسدى
وقدس قبله من أن ببت الكتان أو حصدا
وقدس مثله من قا م عند النول أو قعدا
وقدس كل من نادى به في السوق، أو شهدا

حلم اليقظة

أين مضى الحلم الذي كنت أراه ههنا
إذا صحوت والتفت ت عن شمالي موهنا!^{١٦}

* * *

كنت إذا ما قطعت نومي صحوات السهر
غبطت عيني وأغ ضيت عن النوم النظر

* * *

وكان عندي حلمًا في يقظة الليل المديد

^{١٥} الحرير من نسج الديدان، وهي تذكر الإنسان بالموت والقبور؛ فيجمد من يذكرها خلأفا لمن يذكر الكتان، فإنه يذكر الخضرة والطيور والشدو والحياة.
^{١٦} الوهن والموهن من الليل: بعد منتصفه أو بعد ساعة منه.

غزل ومناجاة

أسمعُ من أنفاسه نسمةً فردوس بعيد

* * *

أسعد ممًا في الكرى من راحة ومن أمل
ومن خيال لا يحدُّ دُومعانٍ لا تمل

* * *

فالآن أبشر يا كرى! كلُّ جفوني الآن لك
حتى أعود فأرى في جانبي ذاك الملك

ليلة

يا ليلة القرب الأمين بيني وبينك ليلة
يا حبذا لو تسرعين، وحبذا لو تطفرين!
وإذا أتيت فحبذا لو تلبَّثين فتخلدين!

عروس الليالي

عروس الليالي تهبط اليوم من علٍ
سرت بين شرقٍ من ضياءٍ ومغربٍ
كأنني أراها من دُهور بعيدة
لطول اشتياق وجهها وتأملي
فيا ليلة القدر المؤمل أقبلي!
تعالني أقبلُ منك كلُّ مُقبَّل
خذي لك جثمانًا يضمُّك عاشق
قليلٌ لديه صورة المتخيل
وتيهي بوجه من صباحك مشرقٍ
وميلي بفرعٍ من مسائك مُسبِّل
سأبديك شعرًا يملأ السمعَ شدوه
إذا ضننت الدنيا بجسمٍ ممثَّل

ثُرثارة

أراكِ ثُرثارةً في غير سابقَةٍ
فهاثِ ما شئتِ قالاً منك أو قبلا
ما أحسنَ اللغوَ من نُغْرِ نَقْبِلَه
إن زاد لغواً لنا زدناه تقبيلاً

ثروة النصيب

منَّيتني بالثروة الجلل
وإذا «النصيب» أصابني احتقلت
حسبي إذا عز البناء غداً
دور تؤسسها وتعمرها
وبنيت لي داراً على عجل
داري بحسبك كلَّ محتفل
في ساحة بالسهل والجبل
في ساحتين: الحب والأمل

قرنفلك

قرنفلك الذي يحكيك حسناً
تعدَّدَ لونه فتجنبوه
له عطر شبَّيه هواك فردُّ
أتعلم أنه يحكيك سمناً؟^{١٧}
على حذر، ولم تحذره أنتا
وألوان من الإحساس شتَّى

النجوم السواغب

أرى أعياناً قد وصوصت في سمائها
موائد حب تشتهيها ودونها
نعمت بها في ليلتي، وهي فوقنا
ومسكينة هذي الكواكب في الدُّجى
أتلك النجوم الناظرات سواغب؟
مصاعب لا تجتازها وغياب
تمد لها ألحاظها وتراقب
ومسكينة تلك الورود الشواحب

^{١٧} السمّت: الطريق، وهيئة أهل الخير.

فهاك خذي من سؤر ما أنا شارب
وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة
ثمالة كأسي كلها يا كواكب
وخذ مثلها يا روض إنك غاضب
غني أنا بالحب، عاش الذي به
غنيت، وإني إن غنيت لواهب!

النيل الغاضب

أساهم^{١٨} يا نيل؟ لست أدري أم ناقمٌ يا نيل طولَ هجري؟
فربَّ شهرٍ مرَّ بعد شهرٍ وعامٍ سوءٍ بعدَ عامٍ شرٍّ
ولا بشفحِ زرتُ أو بوتِرِ

لاقيتني يا نيل والحبيبا كما تلاقي طارقًا غريبًا
وزدتنا كيدًا لنا مُريبًا، أغريت يا نيلُ بنا الرقيبًا
يكاد يحصي سرَّه وسري

وكيف يا نيلَ إليك حجِّي ولم أكن أخاف أو أرجي؟
بل كيف يهديني إليك نهجي وقد هوى نجمي وضلَّ برجِي؟!
وعزَّ قرباني ولاح عذري؟

ذاك الذي كنتَ معي تراه غيري إليك ربَّما دعاه
فقد هداني كاهن سواه إليك يرعاني كما أراه
بعد ضلال في الهوى وخسر

^{١٨} سهم وجهه: عبس وتغير.

هدية الكروان

يا نيل أما الآن فالمزار عندي له المنسك^{١٩} والشعار
فلا يغيب في الدجى نهار أو ينجلي عن بدرنا السرار
إلا سرينا لك حين يسري

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيوننا إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا ومن يحبون ويسعدونا
لا رضيت عني ولا عن بدري

نجوى النجوم

بحسبي الأنجمُ الزُّهر فلا شمسٌ ولا بدرٌ
ترينا عزلة النجوى ففيها للهوى سر
وفي لمحتها همس كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ بأحفاد له سُروا:
خذوا الدنيا خذوا الدنيا وغرُّوا العيش واغترُّوا
دریت الحكمة الكبرى فأدراكم هو الغرُّ

* * *

بحسبي الأنجمُ الزهر فلا صبحٌ ولا فجرٌ
سواحر تنبئ الأعبا ب، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشم س أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرَّت حبيبي، ولها الفخر!

^{١٩} مناسك الحج: عباداته. وشعائره: علاماته ومناسكه أيضًا.

كلماتي

كلماتي! كلماتي!
هل معيني وحيك الصا
أنا أستاذيك^{٢٠} ما لم
من معان تتعالى
فاسألني الأرباب عن تلـ
أو سلي الصمت فكم صم
ينتهي شأو الأحاديـ
وبه لاذ هداة

صدق الوعد فهاتي
دُقْ أو وحيُّ اللغات؟
تبلغيه بأداة
عن لسان وَلَهَاة^{٢١}
ك المعاني الخالدات
ت له علمُ ثِقَاتِ
ث إليه والرواة
عرفوا وحي النجاة

انظري يا كلماتي
ما ضياءً ثَمَّ في الأفـ
لا من الأرض ولا من
لا تراه غيرُ عيني
هل يرى الدنيا امرؤ لم
كلماتي أنت في وا
اسألني الأرباب عنه

وأصيخي في أناة
ق، وفي كلُّ الجهات
دائرة الأفلاك آت
وهو ملء الكائنات
يَر منه قبساتِ؟
د من التيه شتات^{٢٢}
أو سلي الصمت وهاتي

كلماتي ما تقوليـ
ما نعيمٌ يمنح الكفـ
تقصر الألباب عنه

من إذن يا كلماتي
فَ غداء المهجات؟
وهو بعض اللمسات

^{٢٠} استأذاه الشيء: طلب منه أداءه.

^{٢١} اللهاة: لحمة مشرفة على الحلق.

^{٢٢} الشتات: المتفرق.

في يدي أدعوه خصرًا تارة أو زهرات
في فمي أدعوه ثغراً تارة أو قبلات
وفؤادي؟ ما اسم ما فيهِ ه إذن يا كلماتي
اسألِي الأربابَ عنه أو سلي الصمت وهاتي

* * *

نشوات تلك؟ لا بل تلك فوق النشوات
يقظت تلك؟ لا بل تلك غير اليقظتات
بلغت منها مداها وارتقت مرتفعات
تسلس اليقظة للوصف ف وتُصغي وتؤاتي
فإذا جازت مداها لزمتم صمت السبات
كلماتي! ما تقول مين إذن يا كلماتي؟
اسألِي الأرباب عنها أو سلي الصمت وهاتي

* * *

لحظة تمنح قلبي كلَّ هاتيك الهبات؟
لحظة ترفع عمري حقبًا متصلات؟
ربَّ عمرٍ طال بالرف عة لا بالسنوات
لحظة؟ لا بل خلود لاح بين اللحظات
كالسموات تراها من شبك الحلقات
ربَّ آبايد تجلَّت من كوى^{٢٣} مختلفات
وقطيرات زمان ملأت كأس حياة
وإذا ما طغت الكأ س فقل في السكرات!
سكرت تُغشى وأخرى تغتلي بالصحوات
هكذا بتنا رفيقي من لزيمي لثمات

^{٢٣} جمع كوة، وهي فتحة في الحائط.

غزل ومناجاة

غائب غافٍ، وصاحٍ لحفيف الهمسات
كلماتي! ما تقولي من إذن يا كلماتي
اسألني الأرباب عنَّا أو سلي الصمت وهاتي

* * *

أين أملاكٌ على أبـ راجها المَطَّلعات؟
تصقل الأفاق في الليـ ل وتجلو النيِّرات
لا أرى الدنيا على نو ر الليالي الغابرات
أين؟ لا بل ندع الدنـ يا وراء الحجرات
نورنا الليلة مصبـ ح وليد اللمحات
غضٌّ جفنيه حياءً من غضيض النظرات
شفقيًّا أو فقل إن شئت فجرِّي السمات
عَسَجَدًا بارك حسنـ عَسَجديِّ البركات
سَبَّحت عيني ونفسي ويدي في غمرات
في كنوز منهما أيُّ كنوز مغنيات
ثروة أنفق منها لحياتي ومماتي
ولبعثي يوم أن تبـ عث في الطرس وصاتي
كلماتي! ما أراك الـ يوم إلا خاذلاتي
عنك أغنتني كنوزي وكنوزي مهلماتي

* * *

سمعتني كلماتي واستعادت دعواتي
ثم قالت في حياء كالعذارى الخَفِرَات:
باح لي الصمت ولكن فاتني أيُّ فوات
قال: ساموك عسيرًا في التمني يا بناتي
ارجعي، ثم أعيدي ثم عودي صاغيات
مرة أو عشرات وإذا اسطَّعتِ مئات
ما بدرسٍ واحد تو فين هاتيك الصفات
هكذا يا شاعري أـ همني الصمت فهات

هدية الكروان

هاتها وافرح بإحسا ني وراقب حسناتي
لا يبوح الصمت إلا درجات درجات

* * *

كلماتي! صدق الصم ست، أجل يا كلماتي
غير أنني لا أعيد الـ أمس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضم ممت رجائي وشكاتي
يملك العودة من أح يا من الأرض الموات
فابعثي الصمت إليها في خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم تسألني يا كلماتي

يوم يبحث عن ذكراه

يومٌ بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه، فإذا اليوم الذي خطر فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه، فكانت مصادفةً من أعجب المصادفات:

لم يطوهِ الزمن الماضي ولا احتجبت في نمة العام بعد العام سيماه
خلناه في الغيب منسياً فذكرنا بنفسه اليوم في إلهام نجواه
قمنا لنبحث عنه في صحائفنا فكان ميلاده ميعاد ذكراه
يا يومَ أوّل لقيا بيننا عرضت ثم انطوى عهدا حتى بعثناه
نعم بعثناه في حبّ إذا ذهب مزية العمر لم تذهب مزياه
مباركُ يومٍ عيدٍ في عواقبه لم يسهُ عنّا وما كنّا لننساه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره إذا به باحثاً عنّا لنلقاه!
سرٌّ من الله في رُوحين ما برحا من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسي فلم تبلغ الذرى
فلحبت أوج في العلا قلما ارتقى
وددت لو اني لا أفارق أوجه
ولكنها حرب مع الدهر لم يزل
فلا تحسب القلب المشرد غاضبا
وإن تك يوما في الصعود مؤازري
ولست على مثواي في الأرض نادما
من الحب فارفعها، وكن أنت عاذرا
بنو الأرض إلا مرتقى منه نادرا
ولا أستوي في الأرض، لو كنت قادرا
بها القلب مقهورا هناك وقاهرا
ولا عاتبا، واحسبه أسوان حائرا
أكن لك يوما في الصعود مؤازرا
إذا كنت لي نجما على الأفق سافرا

سحر السراب

هذا سرابك جنة تُغري
صحراء بعدك ما خلت أبدا
لكنه يُغري وليس به
وإذا السراب خلت كواثره
فافتن بذاك وذاك يصف لنا
يا فاتني بالقرب والذكر
من كوثر في أفقها يجري
ري، وعندك لجة النهر
من مائها لم تخل من سحر
أمن المقيم، ولهفة السفر^{٢٤}

عالمنا

في الحب والشعر والإخلاص عالمنا
إذا نظرت حوالينا فلست ترى
دعنا من العالم الموبوء بالدنس
إلا السموات في مرأى وملتمس

^{٢٤} السفر: المسافرون، والمعنى: إن في البعد سحرا كسحر السراب الذي يفتن بالشوق والأمل ولكنه لا يروي، وإن للقرب فتنة الرئي ولكنه لا لهفة فيه، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة ولذة السفر.

هجو

هجوتك في بيتين جهدي فلا تخف
أقول: رعاك الله إنك محنة
وقلت - وما أتممت بيتين: إنني
وسلني، فإنني قائل لك بيتين
وطول عناء حين تغرب عن عيني
شقي بما ألقاه منك على البين

هجو آخر

هذا الدلال علاماً؟
تغيب عني فيمسي
وإن سمحت بقربي
تزهى بهذا، فهلاً
أكان حتماً لزاماً؟
يومي من الدهر عاماً
قصرت لي الأيام
خشيت فيه الملاماً؟

الوساوس

أنا ساهرٌ والليل دامس
ومن الغد الخافي وما
ومن الذي بالأمس كما
ومن الذي تخفيه تلـ
ترنو إليك وخلفها
ودع الغياب ومن يجا
ودع الحفول ومن يرا
يا لهفتا إن قيل لا
هذا وذاك كلاهما
ويل المحب من الوسواس
من زحفه المأمون حارس
ن، وريبه في الصدر هامس
ك الأعين السود النواعس
في القلب سرُّ عنك خانس
لس في الغياب ومن يؤانس
قص في الحفول ومن يلامس
ه بينهم أو قيل عابس!
راض به قلبي وبائس

لا تنأ عني إن لي
هي من شياطين الظلا
في كل نأى ألف هاجس
م وأنت مثل الصبح شامس

غزل ومناجاة

أشرق عليها ينصرف
لا ضير عندي أن تعيد
منها المسالم والمشاكس
ش إذا انجلي ليل الوسوس

رجاء اللقاء

رجائي بأن ألقاك بدد وحشتي
أراك فتنجاّب الوسوس كلُّها
فكيف إذا أمسيت أنت مؤانسي؟!
وأنت إذا ما غبت كلُّ وسوسي

شكوك العاشق

رأى ابناً في الكرى زهقا
يضم وليده ثقة
فيضم وليده ثقة
ويخفق قلبه فزعاً
فهبّ مروعاً قلقا
ويفزع كلما خفقا
إذا ما خاف ذو شغف
فذاك المارد انطلقا

* * *

كذاك الشكُّ في قلبي
أكذِّبه، ويحزنني
فديتك لا تعدِّي الحز
فما لي بالخيال يدُّ
إذا ما طاف أو طرقا
كأنَّ نذيره صدقا
ن من ذنبي ولا الفرقا
إذا ما خال أو خلقا
يوسوس لي فأسمعه
كذلك كلُّ من عشقا!

صفقة مغبونة

أراني في غرامك لا أجازي
ألم يسع الزمانَ الرحبَ قلبُ
وإن جازيتني حبًّا بحبِّ
فكيف وعند قربك لي شريك
وهبتكهُ، وقلبك غير رحبٍ؟
وما لك من شريك عند قربي؟

جهلت الحب إن أعطيتُ قلباً يقيم على الوفاء، بنصف قلبٍ

بلدي

أَمَحَلَ الدَّهْرُ وَاطَّرَدَ لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظاراً لموعِدٍ أو هَيَامٌ بمن وعد
كُلُّ أَيَّامِنَا تَسَا وين في الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها والتقى أمسها بغد
تُنْقِصُ العَمَرَ كُلُّهَا وبها العمرُ لم يُزِدْ^{٢٥}
لم تزد ماضياً وقد نقصت مقبل الأمد
قد رجعنا كما بدأ نا فما الخوف والكمد؟
كان لي الحزن موطناً فتباعدتُ، فابتعد
ثم عدنا فهل ترى واجداً خاف ما وجد
بلدي أنت بي أب رُ، فلا بنتٌ ولا بلد

ميناء قلب

نَمَّ قَرِيرِ العَيْنِ والنَّفْسِ فَمَا لك في قلبي سوى الحب الطهور
أنا إن لم أكرم الصاحب في غيبيةً، إنني إذن جِدُّ كفور

* * *

أنت مينائي إذا البحر طغى واكفهرَّ الليل، واستعصى العبور
هب به بعض صخور أتري أنقض الأسوار حولي والجسور؟!
لا وحبِّي! بل قصاراي إذن أنني أعرف هاتيك الصخور

^{٢٥} يوم السعادة الذي يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر، ولكنه يزيد في ثروة الماضي، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده في ماضٍ أو حاضر.

غزل ومناجاة

فإذا جاورتها جاورتها غافراً ما شئت، والحب غفور
بل أراني شاكراً لا غافراً وشببهان غفوراً وشكور

* * *

نم قرير العين والخاطر يا أكرم الأحاب في الدنيا الغرور
لا تخف في الغد شراً من أخ ودّ لو ينجيك من ماضي الشرور
في أمان أنت منّي وأنا في أمان منك، والدّهـر يدور
أنا أدري بك من نفسك يا طاهر النية في كلّ الأمور
إنما تخطئ من حب إذا أخطأ الإنسان من غشّ وزور
ويح قلبي أنا إن أحزنت من هو في الحب على الحزن صبور
كم قسا منّي وكم جار الهوى والهوى منك رحيم لا يجور
لك من عطفٍ شفيـع دائم وشفيعي عندك الوجد الثور
نم قرير العين والخاطر لا قرّ ذو ضغنٍ ولا نام غيور
خلّ جهل الناس في ظلمائه واجلّ لي حبك نوراً فوق نور

فوق الحب

صاحبي من سروره وسروري في صفاء الزمان يلتقيان
وصديقي من استجدّ سروراً من سروري، وإن تناءى مكاني
وحبيبي من قلبه كيفما كا ن، وقلبي في الشجو يستويان
فالذي يرتضي العذاب لأرضى كيف أدعوه؟ ما اسمه في البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الـ حبّ شيء يرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ جلّ عن صبغة الوجود الفاني

سريان روح

لا تسلني متعبٌ أنت فما
بجناحين من الحبِّ ومن
طرت لا أشكو المدى من تعب
لم أكن ألمس أرضاً إنما
تتعب الأرواح في عُليا السماء
حسنك الخافق، ينقاد الفضاء
حين صاحبتك في ذاك المساء
كنت أسري حين أمشي في ضياء

توكيد

أحدت نفسي بالفراق وأخشاه
هو الشيء لا تدري بفرط وجوده
كما تقذف الأمُّ الوليدَ لتلقاه^{٢٦}
ولا حبه إلا إذا غاب مرآه

جواز الحياة

قالت: جوازك؟ قلت: هاكِ!
فدخلت في خدر الحيا
أبرزُ جوازك تقتسم
أو لا فأنت ببابها
حبُّ أنالُ به رضاكِ
ة وراء ألفاف الشباك
دار الحياة على اشتراك
أبدًا تحوم بلا فكاك

الخرافة الصادقة

دعني أثوب إلى العرَّاف أسأله
جلا عجائب دنيا لا نظير لها
فإن أبيت مؤمناً بالسحر لا عجبُ
فالحب علمني صدق الأساطير
في زعم مُخْتَلِقٍ أو وهم مسحور
هذا هو السحر في حسي وتفكيري

^{٢٦} الأم إذا قذفت ابنها في الهواء ثم تلقفته شعرت بالخطر عليه ثم شعرت به بين يديها، فكان في ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه.

علم الحب

وَتَحْسُنْ دُنْيَا مِنْ أَحَاطَ بِهِ الْحُبِّ
فَبِالْحُبِّ تَدْرِي الْحَسْنَ وَالْقَبْحَ عِنْدَهَا

الثوب الرشيد

فَرِحَاتِ قَلْبِكَ بِالْجَدِيدِ
أَخْجَلْتَ بِالثُّوبِ الرَّشِيدِ
هُوَ لَا يِعَادُ فَمَا لَقَدُّ
خَلَّ الْحَيَاءَ لِمَنْ يَلُو
أَوْلَى بِالِاسْتِحْيَاءِ مِنْ
كُلِّ الثِّيَابِ لِمَنْ يَزِيدُ
فَافْرَحْ بِحِلَّتِكَ الْجَمِيدِ
لَوْ تَرْتَدِي ثُوبَ الْوَقَا
لِلْبَسْتِهَا فَرِحًا بِهَا

مِنْ فَرِحَةِ الطِّفْلِ السَّعِيدِ
قِ وَأَنْتَ صَاحِبُهُ الْفَرِيدِ؟
كَمْ مِنْ مَعِيدٍ فِي الْقُدُودِ
مَكَ وَاحِلٌ أَنْتَ كَمَا تَرِيدُ
عَذْلُ الْجَمَالِ عَلَى الْمَزِيدِ
مِنْ ثِيَابِهِ عَفٌّ حَمِيدِ
لَهُ فَالْجَمِيلُ هُوَ الرَّشِيدِ
رُ وَهَيْبَةُ الْعَمْرِ الْمَدِيدِ
كَالطُّفْلِ فِي الرَّيِّ الْجَدِيدِ

عمر شعر

شِعْرِي الْقَدِيمَ عَشَقْتَهُ وَحَفِظْتَهُ
وَجَدِيدَ شِعْرِي إِنْ نَظَمْتُ فَإِنَّمَا
فَكَأَنَّ حَبِّي كَانَ عِنْدِي كُلَّهُ
فَاحْرَصْ عَلَى قَلْبِ أَبَاكَ مَاضِيًا

وَحَيَّيْتُ فِيهِ حَقِيقَةً وَخِيَالًا
لَكَ بِنْتُ أَنْظَمَهُ، وَفِيكَ تَوَالِي
رَهْنًا بِحَسْنِكَ مَبْدَأً وَمَآلًا
مِنْهُ وَحَاضِرُهُ وَالِاسْتِقْبَالَ

الحياء في الحب

صن من حياك ما يذكّرنا على
واخلع حياءك يوم يُنسى أننا
الحبُّ أجمع حين تعلم سرّه
قلبٌ يرفرف في جوار قرينه
متفرّقين ليعطيا، فإذا التقى
ويلدُّ بالثمر الجديد كلاهما
طول التآلف أننا جسمان
قلبٌ تفرّد ما له من ثان
في ذلك التذكّار والنسيان
لا القلب مبتعد، ولا هو فان
حظّاهما فسروره ضعفان
كالحور تحت عرائش الرضوان

عتاب

أيها المانع الرسائل عني
هب ردودي أبطن عنك، فقل لي:
لا التحدي ولا التشاغل يُرضى
ضامن أنت إن تسلّفت عذري
هل يكون الوفاء كُتبا بكتب؟
من أقال البريد من كلّ ذنب؟!
من حبيبٍ مُعاتب، أو مُحبِّب
حسن ظن بالود، أو حسن عتب

لقاء شجي

هل عجب في الحب برح الأسي
هاتيك نفسي استجمعت نفسها
لا تجمع الأنفوس أجزاءها
إلا أطالت نظرات لها
يا رحمة للقلب من نشوة
بعد ابتهاجي بلقاء الحبيب؟
فابسط لها عذر اللبيب الأريب
ما بين ناب حولها أو مجيب
فيما بدا منها وفيما يغيب
يشابه النشوان فيها الكئيب

مولد أو نشوء وارتقاء

زَانَكِ اللهُ بِصَفْوِ
طَالَ بِي فِكْرَ اللَّيَالِي
قَالَ لِي: هَاكَ فَخْذَهَا
ذَاتَ حَسَنِ وَحِيَاءِ
وُسَمَّتْ بِالْفِكْرِ^{٢٧} فَاقْبِسْ
فِكْرَةً فِي رَاحَتِيكَ
قَلْتُ: حَقًّا يَا شِتَاءَ
هِيَ حَسَنٌ وَحِيَاءُ
غَيْرَ أَنِّي، وَهِيَ صَمْتُ،
لَيْسَ لِي فِيهَا عِزَاءُ
وَسَلَامٌ يَا شِتَاءَ
أَوْ مَا فِيكَ عِزَاءُ؟
زَهْرَةٌ مَنِّي إِلَيْكَ
وَلَهَا فَضْلٌ لَدَيْكَ
فِكْرَةً فِي رَاحَتِيكَ
هِيَ حَسَنٌ وَحِيَاءُ
لَيْسَ لِي فِيهَا عِزَاءُ

* * *

قَالَ: يَرْضِيكَ إِذْنُ شَا
هُوَ لِلجِنَّةِ^{٢٨} يُدْعَى
يَعِشِقُ النَّيْلَ وَإِنْ لَمْ
يَكْ فِيهِ بَوْلِيدُ
هُوَ حَسَنٌ وَغِنَاءُ
غَيْرَ أَنِّي، وَهُوَ صَوْتُ،
لَيْسَ لِي فِيهِ عِزَاءُ

* * *

قَالَ: يَرْضِيكَ إِذْنُ سَا
يَصْدَعُ الظُّلْمَاءَ، يُزْجِي
فِيهِ مِنْ قَلْبِكَ نَبْضُ
قَلْتُ: دَعْنِي يَا شِتَاءَ
أُذًا جَادَ بَغِيْثُ
رِ مِنْ الْبَرْقِ بِشِيرِ
عَارِضِ الْغَيْثِ، يَنْبِرِ
وَمِنْ اللَّيْلِ سَمِيرِ
مِنْ شِعَاعِ فِي فِضَاءِ
كَانَ لِي فِيهِ عِزَاءُ

* * *

^{٢٧} المقصود — كما يظهر من هذا الوصف — زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسية، وهي كلمة ترادف

بالفرنسية كلمة «فكرة»، وتظهر هذه الزهرة في الشتاء.

^{٢٨} عصفور الجنة.

هدية الكروان

قال: والشمس؟ فما ظنُّ
كلما عدتُ بها سبُّ
فيك منها لمحّة حزّ
قلت: حقًّا يا شتاء
غير أنّي، وهي صبح،
ما عزائي في المساء؟

* * *

قال لي: أنفدتُ كنزي
غيرَ ذخِرٍ من بني الإنـ
فيه من صبحٍ ومن ليـ
أتراه؟ قلت: حقًّا
هو حبٌّ وحياة

* * *

من بني الإنسان في ذا
زينةً للعين واللبّ
طاهر كالمزنة البيـ
كبنات الروض مفتنـ
وارف كالظلّ مُحـي

* * *

يا شتائي فيم إخفا
أي روض؟ أي برق
أنا مستغن به عنـ
قد تعلمت وأتقنـ
منذ عشرين وخمس

^{٢٩} في أساطير الأقدمين أن الشمس تولد مرة في أوائل الشتاء.

* * *

ثمَّ عندي كل ما تعد
وجميلٌ كلُّ بدءٍ
وجميل زهرك النا
صدَّق العلمُ وقال الـ
سُنَّةُ الزهر نشوء
طبي إذا تم العطاء
ينتهي خيرَ انتهاء
مي على هذا النماء
حبُّ: حقًّا يا شتاء
في المعاني وارتقاء

إساءة مشكورة

إليك مني الشكر حتَّى على
أغضبني منك فأنجيتني
إذا التوى الصبر على عاشق
ما ذاكر اللجة رياءً له
ولهفة الظامئ ترياقتها
إساءة اللقيا غداة السفر
من لوعة الهجر وطول السهر
تعرَّض العتب له فاصطبر
كذاكر اللجة فيها الخطر
أن ينظر الغُصَّةَ فيما انتظر

عروس الشعر - في البعد

عروس شعري أجيدي
فيمَ السكوت؟ أما من
أوحيُّ ثغرٍ لثغرٍ
أما سمعت ببرق
وناقلي من أثير
بشرى إذن ألف بشرى
إلى المزاهر هزِّي
ورنمي واستعدي
في البعد نظم القصيد
وحي؟ أما من نشيد؟
أو لا صدئ من بعيد؟!
مُستحدِّثٍ أو بريد؟
وسكةٍ من حديد
بيوم قرب سعيد
أوتارها من جديد
ورتلِّي واستعيدي

صنوفُ حبٍ

عرفتُ من الحبِّ أشكاله وصاحبتُ بعدَ الجمالِ الجمالَ
فحبُّ المصوِّرِ تمثالُه عرفتُ! وحبُّ الشباِبِ الخيالَ

* * *

وحب القداسة لم أعدُه وحب التصوف لم يعدُنِي
وفي كلِّ حبٍّ وَرَى زندهُ سماتٌ من المؤمنِ الدَّيْنِ

* * *

وحب المزخرفِ والمنْتَقَى وحب المجرَّدِ والعاطلِ
وحب الجِماحِ، وحب التُّقَى وحب المجدِّ والناقلِ

* * *

وحب التُّقَاتِ وحب الصحا ب، وحب الطبيعة في حسنِها
وحب الرجاءِ وحب العذا ب، على يأسِ نفسي من حزنِها

* * *

وحب التي علِّمتني الهوى وحب التي أنا علِّمتها
ومن أستمَدُّ لديها القُوى ومن بالقوى أنا أمددتها

* * *

وحب الجياحِ صحافِ الطعامِ وحب الظماءِ كئوسِ الشرابِ
وحب الكفاحِ وحب السلامِ وحب الضلالِ وحب الصوابِ

* * *

صنوف من الحب لا تلتقي وفيك التَّقَى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنت كُفْتًا لهذا الهوى

صفات وتأملات

ليالي رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
فمن عالم النسيان فيها مشابه
ليال برأس البر تَنْدَى وداعة
وداعة ذات الدَّلُّ شابَ فؤادها
ولولا سناها قلت: كنت أراها
لعمق معانيها، وبعد مداها
وفيهما من السلوى جميل رضاها
ورِقَّةَ أشجان، وطابَ نَداها
شوائبُ من هَجْرٍ، فراضَ صباها

* * *

ليالٍ برأس البر طابَ نَداها
هنا النيل ساج طال في الدهر سيره
هنا البحر ثَوَّارُ الدهور على الكرى
إذا استرسلت أصدائه في أطرادها
هنا عالمُ السلوى، هنا العالمُ الذي
هنا العالمُ المشهود ذكرى قديمة
فلولا حياتي في عروقي أحسُّها
وَشَفَّتْ دياجيها ورقُّ سناها
وطالت مرامي نبعه فسلاها
ويطغى فلا يحمي النفوس كراها
ترسَّلت الأحلامُ ملءَ مُناها
تَحِسُّ الليالي فيه همسَ خطاها
وذكرك دنيا لا تزالُ تراها
لقلت: نعيم الغابرين طواها

* * *

جمالك — رأس البر — في زيِّ ناسك
لياليك — رأس البر — في صومعاتها
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
مناسكُ ضلَّت في الظلام هداها

تساوى لديها صُبحها ودُجَها
ولم أرَ جهدًا في الحياة عنها
سقته نُديُّ الخالدات جناها
فنينا، وكم تُفني الجسمَ نهاها
لنا العيش يومًا، أن تكفَّ أذاها

صحاك - رأس البر - أطيافُ نائم
عناها الذي يعني النيامَ من الرؤى
حياتك - رأس البر - طفلٌ مجدد
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كَلِّما
بحسبي من أبناء آدم إن صفا

شرفة مصر - في رأس البر

أو هنا البدء أوَّلا
إن تكن مصرُ منزلا
ونرى البحر مقبلا
رَ إذا ارتاض واختلى
مصرَ من صوبنا ولا ...
ومَصِيفًا وموئلا
عافت الأرض والملا

ينتهي البَرُّ ههنا
نحن في باب شرفة
نترك الأرض خلفنا
كالذي يهجر الدنيا
مصر من خلفنا ولا
حبذا «الرأس» شرفة
فرجة النفس كَلِّما

خبر الربيع

عهدي وما فيه من ذي خضرة أثرُ
عيدانك العوجِ ذاك العطرُ والزهرُ
فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
هذا السرور الذي في القلب ينتشر
على براق من الأنوار ينحدر
وافرح به، وانتظره حين يُنتظر
وبالسرور، فحسبي ذلك الخبر

يا أيها الورقُ المخضرُّ في شجرٍ
من أين أقبلت؟ بل من أين أقبلَ في
إنا سألنا، ولو عاد السؤالُ إلى
سلنا بحقك من أين استجدَّ لنا
كلاهما طارقُ طاف الربيع به
سلهُ فإن لم يُجب فانعم بمقدِّمه
إذا أجاب بأزهار مفتحة

الوجود! لا تنازع الوجود

ليس السرُّ الأكبر هو تنازع الوجود، بل السرُّ الأكبر هو الوجود نفسه، كيف كان وما الذي يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع لتعليل بشيء يحتاج هو نفسه إلى تعليل. وأنت لا تعطيني الكنز إذا وصفت لي صراع الطامعين فيه، وكذلك لا تعرّفني سرَّ الحياة وكنزها المخبوءَ إذا وصفت لي تنازع البقاء.

وراموا به سرَّ الوجود فأبعدوا
من الخلق؟ أم يبغي الحمى حين يوجد؟
وأنتك تبغي الكون^١ والكون مجهد
هنا السرُّ والكنز الذي عنك يوصد
صراعاً على أعتابه يتجدد؟

«نزاع بقاء» فصّلوه وعدّوا
أيوجد مخلوق ليحمي نفسه
هو السرُّ كلُّ السرِّ أنك كائنٌ
فلا تُحصِر ألوان النزاع فإنّما
أمعطيّ كنزاً إن عرضت لناظري

تجربتي

يا كتبي! أين أنت يا كتبي؟!
في القلب نار العذاب والغضب
حزني، وقد تمنعيني طربي
تُصفيين عيشي من كدرة الرّيب
غفلان، والفاجعات عن كتب^٢
مقهقهها بين فادح النوب

تجربتي! أين أنت تجربتي؟
لم تمنعي دمعاً تؤججها
إليك عني! فلست مانعة
وقد تشوبين لي الصفاء وما
لهفي على غرة أعيش بها
لهفي على جُنّة أهيم بها

^١ الكون: مصدر كان، وهو: الوجود.

^٢ عن قرب.

قربان القرابين

ما في القرابين ولا الأعياد
أبرُّ في اللب وفي الفؤاد
من يوم حبُّ بالحياة شاد
مدَّخرٍ منتظر الميعاد
تبذله للموت والحداد
رعياً لمن باتوا على وساد
من الثرى في غير ما رقاد
وقطعوا في القبر كل زاد

الفن الحيُّ أو الحياة الفنية

خذُ من الجسم كلَّ معنى، وجسِّم
حبذا العيش يبدع الفكر جسماً
ويرى الفنَّ كالحياة حياةً
ضلَّ مَنْ يَفصل الحياتين جهلاً
من معاني النفوس ما كان بكرا
نحتليه، ويبدع الجسم فكرا
ويرى للحياة فناً وشعرا
واهتدى مَنْ حوى الحياتين طراً

عمر السعادة

إن السعادة هي الكفاية، والاكتفاء بدءُ التحوُّل والاستغناء، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها، فإن لم تُغرينا بذلك فهي كالنور الذي ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب، فتخلق لنا أسباباً كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافيةً علينا؛ إذ نحن نريد الدنيا أبداً رقيقة جميلة كما صورتها لنا السعادة، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل.

ثِق بِالرَّهَانِ عَلَى عَمْرِ الزُّجَاجِ وَلَا
لَعَلَّ أَسْعَدَ حَيٍّ أَنْتَ مُصْبِحِهِ
تثق بعمرٍ سعيدٍ طال أو قصرا
يموت قبل نزول الليل منتحرا

وفي السعادة ما يُغري بفرقتها
وربما شوّهت دنياك أجمعها
إن الكفاية تكفي من رأى ودرى
إذا رأيت بها عيباً، وإن صغرا

العَرَاف

من عهدٍ مجهولةٍ وديار
حمل اللحية التي تنسج الدهر
هو غيبٌ فكيف لا يعلم الغيب
خلفه للزمان سرٌّ، فهل يط
في خفايا المجهول عاش فسله
هي أخفى من عمره مستقرًا
ر، وتبديه للنواظر شعرا
ب؟ ودهر فكيف يجهل دهرا؟
وي غدٌ من أمام عينيه سرًا؟
عن خفايا المجهول ينبئك جهرا

التقديس

عارفُ التقديس رو
ومهيئُ الجسم جسمي
أنت بالتقديس تسمو
وهي الأعين لا النو
حي، وإن قدس جسمًا
ي، وإن كان «برهما»
لا بما قدست تُسمى
ر التي تجلو، وتعمى

يوم شتاء

يوم بيتٍ لا يومٍ خوض الدياجي
وجمال من النفوس يُناجى
مستهلّين والطبيعة غُضبي
نتحدّى الرياح والليل والأهـ
فإذا ما يروع منها ويضني
كالذي يشهد الكوارث فنا
فانج ما بين صفحة وسراج
في أسارير وجهه ويُناجي
وكلانا من هولها الصعب ناج
وال طرًا بصفحة من زجاج!
نتلقاه ههنا بابتهاج
من فنون التمثيل والإخراج

السرور

منع السرور حذار قلبي قبله
ويزيدني كلفًا به وضنانهً
ألا يتم، وبعده التنغيصا
ألا يباح - إذا أبيع - رخيصا

القديس

إن يجهل الناس ما القديس في خلق
لا مانح الخير كلُّ الخلق تحمده
أو مانح الخير يرويه ويرسله
منحت خيرك تأبى أن يذاع، وقد
منحتّه من سخاءٍ لا جزاء له
تلك القداسة حقًا لا قداسة من
تلك القداسة من نور وإن سُتِرت

فأنت وحدك قديس السموات
أو مانح الخير مجزيًا بجنات
في حاضر من سواد الناس أو آت
تخشى عقوبته في يوم ميقات
إلا مسرّة وهب المسرّات
يزدان بالعرف في سميت وإخبات^٣
كأنها الذنب في ليل الخطيئات

نسختان

خذ من رجائك نسختين ولا تُصن
فإذا التوت إحداهما عن قصدها
أبدًا رجاءك في كتاب^٤ واحد
لم تخطئ الأخرى سبيل القاصد

العزاء جملة

غنيبت عن العزاء، وهل عزاءً
تسلّفت الفجائع في ارتقاب
لمن قبل المصّاب رأى المصابا
وحسبي أن أهونها ارتقابا

^٣ الإخبات: هو التخشع.

^٤ الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب، أو «الخطاب».

لقد هانت خطوبي حين باتت حياتي كلها خطبًا عجابا
فإن شئتم فعزوا في حياتي مجازفةً، ولا تحصوا الحسابا

مناجاة الدنيا

يقول الحيّ: إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هي الخاسرة، والحيّ لا يشعر بخسارة
فقد الحياة.

وتقول الدنيا: إن حيًّا يجيء يغنيها عن حيّ يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا
خسارة عليها.

ويقول صوتُ خالدٍ لا هو صوت الأحياء ولا هو صوت الدنيا: إنَّ الفناء يصيب الدنيا
كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يفنى أبدًا، وإنما كلُّ
كائن له دور في الإفناء ودور في الفناء.

إن تكن غاية سعيّ الحيّ موتٌ فيك يا دنيا، فأنت الخاسرة
أو يكن بعد فناء الميت عيشٌ فيك يا دنيا فأنت العامرة
نحن إن عدنا إليك الخاسرون

قالت الدنيا: بحيّ بعد حي أنا أستبقي ينابيع الحياة
فامكنوا في نفوسًا أو ترابًا ما على الحالين عندي من شكاة
إن زهبتكم فكما كنت أكون

قال صوت ليس بالدنيا ولا هو بالناس ولا غيرهما
فيه منها ثم منهم أثرٌ ثم من شيء سرى بينهما
كلنا نحن حياة ومَنون
كلنا يفنى ويُفنى ويصون
كلنا مفترقون، كلنا متحدون!

متفرقات

إلى الأستاذ مكرم^١

يا من أسى جرح مصر في ضمائرها
إذا شكَا مكرمٌ فدته أمته
الله والنيل قد صانا وقد عرفا
من ليس يعرف إلا النيلَ والله

جِراحُ جسمك تأسو مصرُ شكواها
كما رعاها وحيّاها وفدّاها
من ليس يعرف إلا النيلَ والله

تهنئة

ولدي في البيان والأدب
كن أبًا واستمع نداءك من
فإذا حَفَّك البنون بما
وإذا ما بلغت في عقب
وإذا ما ارتقيت في رتب
كان لي الفخر أن دعوتك: يا
إنَّ في حافظٍ^٢ لمفخرة

تلك قُرْبى من أكرم القُرَب
كلُّ نجلٍ بذلك اللقب
شئت من بهجة ومن لعب
فوق ما قد بلغت في نسب
أبدًا ترتقي إلى رتب
ولدي، أو دعوتني بأبي
لذويه وصحبه النجب

^١ وجهت إلى الأستاذ النابغة «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية في المستشفى القبطي.

^٢ قيلت في تهنئة الأديب المهذب «حافظ جلال» بخطبته.

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
جُبلت كالفراس في أمة الطيب
واستوت في الحياة فوق جناح
فتعهّد حدائق الشعر وأبَس
وانشدِ النور في جوائك واطلب
أنت يا طاهر^٣ الفؤاد جدير
لك يومٌ موفٍ بأجمل سعي

رُكبت من صراحة ونقاء
ر خفوقاً بين الندى والضياء
مستطار الخطى رقيق الغشاء
حلل الروض، واطلّع في السماء
بعدها الشمس في رحيب الفضاء
من محبيك بالرضا والثناء
وغدٌ مقبل بخير رجاء

أسود يلتحي

أليس كفى هذا السواد فزدته
سريت برأس لا حدود لوجهه
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى
وأخلق أن يرتادك الشيب حالگًا

سواد غراب في لحاك معلق؟
فما زال فيه الليل بالليل يلتقي
سوادك محفوقاً بأبيض مشرق
على حالک، لو كان يجري بمنطق

نبوءة^٤ أو وساوس

يا نبیّ العزیز! أنت نبیُّ
غلبته الشكوك لا عن بيان
موجسًا من خيانة في ثنايا الغيب

غلبته وساوس الشيطان!
ناطق بالهدى، ولا برهان
ب، والغيب صارم الكتمان

^٣ هو الشاعر الأديب: «طاهر الجبلوي»، والأبيات نظمن في تقريظ ديوانه «ملتقى العبرات».
^٤ تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن، والشاعر يقول في هذه القصيدة: إن هذه النبوءة لا تعدو القول بأن الخيانة موجودة في الناس، وهذا شيء نشترك في علمه أجمعين.

متفرقات

دلّه حدسه عليها وما دلّ
أو على آثم جناها وأخفى
قل لنا السرّ كلّهُ يا نبِيّ
أعرف الناس خائنين فهلا
يا نبِيّ، فاشرح لنا أنت ما قد
كان، لا ما يكون في الإمكان
لَ على موضع لها أو زمان
سرّها عن رقيبهِ اليقظان
أو فها نحن في الهوى سيان
زدت شيئاً عليّ في العرفان

البيلا^٥

البيلا. البيلا. البيلا ما أحلى «سُلب البيلا»

* * *

هاتوا البيلا واسقوني هاتوا البيلا. داووني
الطب «وديني» يوصيني بالبيلا، تحيا البيلا!
البيلا. البيلا. البيلا ما أحلى البنّت البيلا!

* * *

ما لي وما للشيكولاتا تمشي لي تاتا تاتا
بطلٌ مثلي هيهاتا بالحلوى ينسى البيلا
البيلا. البيلا. البيلا أبدًا لا أنسى البيلا

* * *

يوم رضاعي خدعوني بالبيلا لم يرووني
من ثديٍ لا تسقوني اسقوني، اسقوني البيلا

^٥ البيلا: أي البيرة ... والقصيدة منظومة في طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارًا قليلًا جدًّا من الجعة يشربه بين حين وآخر، فألفَ الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة. وفي القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقضي أمره؛ فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير.

هدية الكروان

البيلا. البيلا. البيلا. هاتوا لي كأس البيلا

* * *

أخطف كأسى بالكفين خطف المفطوم الثديين
إن أغمض عينيه الثنتين فتحت عيني البيلا
البيلا. البيلا. البيلا «نور العينين» البيلا

* * *

بالبيلا كنت حكيماً أرضى بالمر عليماً
طمعاً في الصبر وفيما يحلو من وعد البيلا
البيلا. البيلا. البيلا ما أحلى وعد البيلا!

* * *

قالوا السكران العرييد! عربيد أنا بالتأكيد
أرقص، وأغني، وأجيد في ساعة «سلب البيلا»
البيلا. البيلا. البيلا غنوا في نخب البيلا

* * *

لقبي في صحبي «هَمًّا» ظلموني في اسمي ظلما
إن نادوا البيلا يوماً أغلط في اسمي والبيلا
يحيا «هَمًّا» والبيلا البيلا. البيلا. البيلا

هجاء

هجاء الدهر

أَبَاسْمُ تُغْنِي؟ لُعْنَتَ شَرِّ لَعْنِ
وَأِنْ عَدَاكَ مُتْنِي خَذِ الثَّنَاءَ مِنِّي
يَا دَهْرَ وَامِضْ عَنِّي

* * *

كُنْ عَابِسًا قَطُوبًا أَوْ ضَاحِكًا طَرُوبًا
مَا أَشْبَهَ الْمَوْهُوبَا عِنْدَكَ وَالْمَسْلُوبَا
إِلَيْكَ! دَعْنِي دَعْنِي

* * *

مَا أَقْبَحَ اللَّئِيمَا! مَبْتَسِمًا كَظِيمَا
أَدْنَى إِلَيْهِ سِيمَا أَنْ يُبْتَلَى دَمِيمَا
يَعْوِي وَلَا يُغْنِي

* * *

أَمَانِحِي السَّرُورَا؟ خَذْهُ وَبَيْنَ مَدْحُورَا
لَوْ لَمْ أَكُنْ مَوْتُورَا أَشْكُو الْأَذَى الْمَقْدُورَا
مَا شَاقَنِي بِحَسَنِ

* * *

أين الجمال أيننا؟ كلُّ الجمال منَّا
إن شئت لا إن شئنا فقرَّ أنت عينا
وخلَّنا في أمن!

خنزير أعجف

فيه خنزيرية ظاهرة ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شأنه جسدٌ في وضعه منحرف

اللؤم خالد

يا عصابة اللؤم مهلاً بعضَ غيرتكم فاللؤم لا ينقضي إن لم تُجلبوه
سيخلد اللؤم في الدهر اللئيم وإن أذله أهله - لؤمًا - وملؤه

رثاء

نصيب الحي والميت

يا صديقي لنا البكاء ولك الموت والسلام
عندنا النور والعناء! عندك النوم والظلام!
ليس يأسى أخو فناء بل أخٌ بعده إقام

* * *

أتبعُ الصحبَ في القبور ببكائي، وما اهتديتُ
أنا لو دام لي الشعور بعد موتي لما بكيْتُ
عالمٌ كله غرور عشتُ ما عشتُ أو قضيتُ

* * *

هالكٌ كلُّ ما يكون تستوي النفس والصفة
فلمن تحصد المنون ولمن تزرع الحياة؟
بدأتُ حكمة الجنون وانتهت حكمة الهداة

رفيق الصبا^١

وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وأذن فيك الحزن أن يتغلبا
وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟
ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
على الأرض إلا كي يقول ويخطبا
وما كان إلا مازحا حين أذنبنا
فأقربُ منها أن أصفح كوكبا
وجدتك رسما في التراب مغيبا
وأذريت دمعا عند قبرك صيبا

رفيق الصبي المعسول أبكيك والصبا
وأذن فيك الصبر أن لا يعينني
أللقاك عند النيل إن عدت في قنا
ونستنشد الأشعار في كل ليلة
ونحسب أن الله لم يخلق امرءا
ونحصي على الدهر البريء ذنوبه
أللقاك؟ بل هيهات قد حالت المنى
إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا
وساءلت عنك الصحب: أين مزاره؟

* * *

إلينا، وقد كان التعجب أعجبا
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
كما طوت الأسقام شيخا معذبا؟
ورب فتى في الردى فات أشيبا
على عصويه من عياء، ومَن حبا
وفاجأني الناعي فأجفلت مُكذبا
ولم يكُ إلا كاذب الظن مُغربا

عجيبٌ لعمرى موتٌ كلُّ محببٍ
حسين! عرفت الموت فيك غريبة
أمنُ هو في ذكري فتى العمر ينطوي
نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى
وسيان في عقبى الطريقين من مشى
عهدتك في شرخ الصبي ناضر الصبي
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

* * *

فما يخطئ الباكي سجاياه مطنبا
وكان أمين السر والجهر طيبا
ولا يذكر الإخوان إلا تحببا
وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا

رفاق حسين أبنوه وأطنبوا
لقد كان ميمون النقيبة صالحا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى
وكان على كنز القناعة أمنا

^١ رثاء الصديق «حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع.

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفُسُ
وكان عزيز النفس في غير جفوة
وكان سميرًا يملك السمع كلِّما
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة
أليفاً وفيًا لا يفارق صاحبًا
أحبَّ قنا واستعذب العيش في قنا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه
تحرَّج منها مُعرضًا وتحوِّيا
ولا صلف منه، إذا صد أو صبا
تبسَّط في أسماره وتشعَّبَا
ويؤثر في الآداب من كان معربا
ولا منزلًا إلا انتنى فتقرَّبَا
فلم يُغره عيش، وإن كان أعذبا
لما ذكروا إلا الوفيَّ المهذبَا

* * *

رفاق حسينٍ أسهبوا فيه واذكروا
على كثبٍ منه اجتمعتم فليت لي
كأنى وقد فارقتة قبل يومه
رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
مكانًا من الجمع القنائيَّ مكثبا
سمعت له نعيين يوم تغيبَا

* * *

إذا ما رثى المحزون إلف شبابه
وودَّع من عهديه في العمر قبلة
إذا جازها أودى بمختار عيشه
رثى قلبه شطرًا من القلب مخصبا
أخف على الرواد زادا وأرحبا
ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبَا

* * *

أليف الصبى لا تشكُّ في الموت وحشة
تعاقبت الأجيال تحت لوائه
وما الزمن المحضور إلا بقية
عليك سلام الله حتى يظلنا
فما زال ركب الموت أحفل موكبا
وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
من الزمن الماضي تلاقت لتذهبَا
سلامٌ أظلل الناس شرقًا ومغربا

تذييل في اسم الديوان

جاءني — بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان في الصفحة الأدبية بالجهاد — استفهاماً من بعض الأدباء، يسألني فيه بلهجة لا تخلو من الاعتراض: هل يحرم إذن على الشاعر المصري أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لا محل له؛ لأنني لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين، وإنما قلت: «من العجيب أنك لا تقرأ صدَى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع في هذه الأجواء.»

فالذي يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد، لا شك في وجوده وكثرته في الأجواء المصرية، ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفًا على فصائل من الطير توجد عندنا في بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة.

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبني سويف ويتفرق على قلة في أنحاء الصعيد، وقلَّمَا يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية.

أما الطائر الذي يقرءون عنه في الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصري «أولاً»، ولكنه إمَّا أن يكون العندليب أو الهزاز أو فصيلةً أخرى، وهذه الفصائل — بعدُ — مهاجرات ينذر أن تنطلق بالغناء على سجيبتها أثناء الهجرة المصرية.

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم في جميع أجوائنا، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها، ولا يُفهم من ذلك إلا أنَّ الناظم يطرب على المحاكاة ولا يفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيَّار؟